

تفسير البغوي

52 - قوله D : { وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته } الآية قال ابن عباس و محمد بن كعب القرطبي وغيرهما من المفسرين : لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأى من مباعدتهم عما جاءهم به من الله تعالى تمنى في نفسه أن يأتيه من الله ما يقارب بيته وبين قومه لحرصه على إيمانهم فكان يوماً في مجلس قريش فأنزل الله تعالى سورة (النجم) فقرأها رسول الله صلى الله تعالى حتى بلغ قوله : { أفرأيتم اللات والعزى * ومناة الثالثة الأخرى } ألقى الشيطان على لسانه بما كان يحدث به نفسه ويتمناه : (تلك الغرانيق العلي وإن شفاعتهم لترتجى) فلما سمعت قريش ذلك فرحاً به ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم قراءة فقرأ السورة كلها وسجد في آخر السورة فسجد المسلمون بسجوده وسجد جميع من في المسجد من المشركين فلم يبق في المسجد مؤمن ولا كافر إلا سجد إلا الوليد بن المغيرة وأبو أحية سعيد بن العاص فإنهما أخذوا حفنة من البطحاء ورفعاها إلى جهتيهما وسجداً عليها لأنهما كانوا شيخين كبيرين فلم يستطعا السجود وتفرق قريش وقد سرهم ما سمعوا من ذكر آلهتهم ويقولون : قد ذكر محمد آلتنا بأحسن الذكر وقالوا : قد عرفنا أن الله يحيى ويميت ويخلق ويرزق ولكن آلتنا هذه تشفع لنا عنده فإذا جعل لها نصباً فنحن معه فلما أمسى رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاهم جبريل فقال : يا محمد ماذا صنعت ؟ لقد تلوت على الناس ما لم آتك به عن الله ! فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم شديداً وخاف من الله خوفاً كثيراً فأنزل الله تعالى الآية يعزيه وكان الله رب رحيمه وسمع بذلك من كان بأرض الحبشة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم سجود قريش وقيل : أسلمت قريش وأهل مكة فرجع أكثرهم إلى عشائرهم وقالوا : هم أحب إلينا حتى إذا دنوا من مكة بلغهم أن الذي كانوا تحدثوا به من إسلام أهل مكة كان باطلًا فلم يدخل أحد إلا بجوار أو مستخفياً فلما نزلت هذه الآية قالت قريش : ندم محمد على ما ذكر من منزلة آلتنا عند الله تعالى فغير ذلك وكان الحرفان اللذان ألقى الشيطان على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وقعوا في فم كل مشرك فازدادوا شراً إلى ما كانوا عليه وشدة على من أسلم .

قال الله تعالى : { وما أرسلنا من قبلك من رسول } وهو الذي يأتيه جبريل بالوحي عياناً { ولا نبي } وهو الذي تكون نبوته إلهاماً أو مناماً وكل رسولنبي وليس كلنبي رسولاً { إلا إذا تمنى } قال بعضهم : أي : أحب شيئاً واحتشاه وحدث به نفسه ما لم يؤمر به { ألقى الشيطان في أمنيته } أي مراده .

وعن ابن عباس قال : إذا حدث ألقى الشيطان في حديثه ووجد إليه سبيلاً وما من النبي إلا تمنى أن يؤمن به قومه ولم يتمن ذلك النبي إلا ألقى الشيطان عليه ما يرضى به قومه فينسخ الله تعالى ما

يلقي الشيطان .

وأكثر المفسرين قالوا : معنى قوله : (تمنى) أي : تلا وقرأ كتاب الله تعالى { ألقى الشيطان في أمنيته } أي : في تلاوته قال الشاعر في عثمان حين قتل : .
(تمنى كتاب الله أول ليلة ... وآخرها لاقى حمام المقادير) .

واختلفوا في أنه كان يقرأ في الصلاة أو في غير الصلاة ؟ فقال قوم : كان يقرأ في الصلاة وقال قوم : كان يقرأ في غير الصلاة فإن قيل كيف يجوز الغلط في التلاوة على النبي A وكان معصوما من الغلط في أصل الدين وقال جل ذكره في القرآن : { لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه } (فصلت : 42) يعني إبليس ؟ .

قيل : قد اختلف الناس في الجواب عنه فقال بعضهم : إن رسول الله A لم يقرأ ولكن الشيطان ذكر ذلك بين قراءته فطن المشركون أن الرسول قرأه .

وقال قتادة : [أغفى النبي إغفاءة فجرى ذلك على لسانه بإلقاء الشيطان ولم يكن له خبر] .

والأكثرون قالوا : جرى ذلك على لسانه بإلقاء الشيطان على سبيل السهو والنسيان ولم يلبث أن نبهه الله عليه .

وقيل : إن شيطانا يقال له أبيض عمل هذا العمل وكان ذلك فتنه ومحنة من الله تعالى يمتحن عباده بما يشاء .

{ فينسخ الله ما يلقي الشيطان } أي : يبطله ويذهبه { ثم يحكم الله آياته } فيثبتها { والله عليم حكيم }